العوامل الحجاجية وأثرها في الحجاج اللغوي في المقامات العثمانية

أ.د لمى عبد القادر خنياب

م.م جنان جاسم خضير

جامعة القادسية /كلية الآداب

Luma.kanyab@qu.edu.iq

الملخص:

تتأسس نظرية الحجاج في اللغة على أنّ القيمة الحجاجية لقولٍ ما ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب،بل أنّ الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول إلى جانب محتواها الإخباري ،وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك،ومن هذه المورفيمات ما يكون داخل القول الواحد ،ويدخل على الإسناد مثل التأكيد والنفي ،وتسمى بـ(العوامل الحجاجية) وهي تعمل على تقوية الحدث التوجيهي الذي تقوم به؛لأهميتها في تجلية الخطاب ووضوح مقاصده وغاياته ،ويتجه هذا البحث إلى إبراز الحجاج التقني القائم على استعمال هذه العوامل الحجاجية في واحدٍ من الفنون الأدبية العربية الطريفة ألا وهو فن المقامة ،فوقع الاختيار على نماذج مختارة منها وتحديداً تلك المقامات التي أُلفت في العصر العثماني مقتصرين على ما طُبع منها حصراً.

الكلمات المفتاحية: (العوامل، الحجاجية، أثرها، الحجاج اللغوي، المقامات العثمانية).

The pilgrim factors and their impact on the linguistic pilgrims in the Ottoman shrines

Prof. Dr. Lama Abdel Qader Khenyab

Jenan Jassim Khudair

Al-Qadisiyah University/College of Arts

ABSTRACT:

The argumentation theory in the language is based on the fact that the argumentative value of a saying is not only the outcome of the information it provides .Rather, the sentence can include morphs ,expressions or formulas suitable for giving an argumentative direction for a saying in addition to its informative content, and directing the recipient in this or that direction and from these morphs

.It is within a single saying , and it enters through the chain of transmission such as affirmation and negation , and it is called (The hajj factors).The exotic Arab literary arts, so the choice was made on selected examples of them, specifically those shrines that were written in the Ottoman era, relying exclusively on printed and published.

Keywords: (factors, arguments, their impact, linguistic arguments, Ottoman denominations).

المقدمـة

تُعد المقامة من الأجناس الأدبية الطريفة في أدبنا العربي والتي تشكل خطاباً جامعاً لمختلف فنون القول والكتابة المتداولة في الأدب العربي،فهي مساحة كتابة تتداخل فيها أجناس أدبية شتى آتية من فضاء القصيدة إيقاعاً وتصويراً ومن الأشكال النثرية الأخرى من خطابة وحكم وأمثال ووصايا وغيرها صُهرت كلَّها في بوتقة واحدة أو فن واحد هو (المقامات)؛مما جعل خطابها يُطعم بصور تكتسي من خصائص الشعرية القائمة على التخييل،وعلى إثارة اندهاش القارىء بالصور البلاغية والأساليب المتمردة على المألوف والصنعة اللغوية واللفظية البديعية ،والشحن العاطفي والتكثيف الدلالي المتمثل في صور حية مركبة بكلمات مقيدة بالسجع،وتكتسي في الآن ذاته من خصائص الخطابية القائمة على الإقناع والتي تسمح بحمل الأفكار وشرحها والمحاجة فيها على اعتبار أنّ الحجاج يُعد مكوناً أصيلاً وأولياً من مكونات البنية اللغوية ينبع وينبثق من اللغة نفسها ،فجمع بذلك خطابها بين الأسلوب والحجاج ؛فهو خطاب تحضر فيه المتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج ؛مما يهيئها لتكون موضوعاً للبلاغة الموسعة بوصفها منطقة وسطى يجتمع فيها التخييل والتداول،فيدمج التخييل والحجاج في إنتاج الفعل البلاغي بوصفه فعلاً تأثيرياً يروم الإقناع ويستبعد التصور الجمالي الخالص، فالوجوه الأسلوبية في خطاب المقامة ليست مجرد حلية تُضاف إليه لتنميقه فحسب، لكنّها جزءٌ منصهرٌ في عملية بناء الخطاب وتشكيله ووظيفة تتجدد في سياق علاقة الخطاب بالمقام ،وقد

هيأها ذلك لتكون منطقة تقاطع الشعرية بالخطابية ؛مما شكّل إغراءً للبحث بجعلها متناً للدراسة مقتصراً على ما طُبع أو نُشر منها؛لإبراز الحجاج التقني القائم على استعمال العوامل الحجاجية التي أسهمت في توجيه المتلقي إلى قصد المتكلم وحمله على مشاركته في الرؤية وتغيير تمثلاته ؛لأنّها من التعابير التي تحدد مداليل الخطاب؛لما فيها من وظيفة اقناعية تعمل على انبثاق بعض القصود وإخفاء بعضها الأخر.

توطئـــة: العوامل الحجاجية وأثرها في الحجاج اللغوي

يكمن أثر العوامل الحجاجية في كونها تستجيب لجوهر نظرية الحجاج ؛لأنّها تعمل على إرساء الخطاب مرجعياً،وبناء الملفوظ بغرض مسند على هذا اللفظ ؛لأنّ الحجاج اللغوي مؤسس من روابط وعوامل حجاجية ومؤشرات لغوية، وهذا ما أدرجه ديكرو (شارودو، منغنو، ٢٠٠٨: ٦٩) (العزاوي، انترنت: ٢٨)

والعوامل الحجاجية عناصر لغوية فاعلة في البناء الحجاجي تربط بين مكونات القول الواحد وظيفتها حصر الإمكانات الحجاجية لمحتوى الملفوظات (عادل، ٢٠١٣: ١٠٠)،فهذه العوامل إذا تمَّ إعمالها في ملفوظٍ ما ،فإنّ ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية إلى هذا الملفوظ (الحجاج، ٢٠١٤: ١٠١-١٠٢)،على أنّ هذا التحويل الحادث في الكتل الدلالية للملفوظ لا يكون نابعاً من القيم الخبرية التي يضفيها هذا العامل ،وإنّما من مجرد وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة فيعمل على تقوية درجة التوجيه بالخطاب، فإذا كان (ق١):السيارة جاهزة ،و(ق٢):لنخرج للنزهة ،فإنّ (ق٢) يكون التوجيه إليه أوكدّ حين ندخل عليه واحداً من هذه العوامل مثل: إنّما السيارة جاهزة لنخرج للنزهة (الناجح، ٢٠١١: ٣٢) واختيار المتكلم للملفوظ الداخل عليه أحد العوامل الحجاجية يكون أنفع في إقامة الحجة من الملفوظ العاري عنها؛ لأنّ وجودها في

الخطاب يُمَّكن من توجيه الخطاب وجهة حجاجية معينة تجعل المتقبل في اتجاه من الاتجاهات (الناجح، ٢٠١١: ٣٢)، ومن ثَمَّ النتيجة تكون مضمونة الوصول.

(النقاري، ٢٠٠٦: ٦٤-٦٥) (الحجاج، ٢٠١٤: ٣٢)

وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربّما، وتقريباً، وكاد، وقليلاً، وكثيراً. و(ما...إلا) وجلّ أدوات النفي والقصر (الحجاج، ٢٠١٤: ٣٢)،وجودها في الملفوظ يعطيه توجهاً حجاجياً للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها (الناجح، ٢٠١١ :٣٢).

وفيما يلي نماذج تطبيقية للحجاج الذي تفرزه هذه العوامل ،بغية الوقوف على فاعليتها الحجاجية وإبراز تأثيرها على الخطاب في توجيهه صوب غاية معينة وذلك في نماذج مختارة لنصوص من المقامات العثمانية، ويمكن تبويبه على محورين : القصر ،والنفي.

المحور الأول: القصر

القصر تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، أيّ حبسه عليه وجعله ملازماً له ،ويكون الشيء الأول هو المقصور، والثاني المقصور عليه ،وهو من أدوات التوكيد، والغاية منه تمكين الكلام وتقريره في ذهن المخاطَب (القصاب، ٢٠١٢: ١٣١)،ومن أبرز طرائقه ،التوكيد بـ (إنّما) ،والتوكيد بـ (النفي والاستثناء) (السامرائي، ٢٠٠٧: ٢١٥)،يتخذها المتكلم لتحديد إمكانات الملفوظ وحصره في إتجاه واحد وإزالة تكوثر الاحتمالات والتأويلات وحصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة يجعل المتلقي يسير نحوها .

- **(إنّما):**

تُعد (إنّما) من أدوات القصر: (السامرائي، ٢٠٠٧: ٣٠٠)،التي تحمل إثباتاً ونفياً،وقد أكدّ ذلك شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (الجرجاني، ١٩٩٢م: ٢٥٧)،فقولك :إنّما جاءني زيدٌ ،إثبات المجيء لزيد ونفيه عمن سواه؛لترفع التوهم وتؤكد الإثبات لأجل حصول الإقناع (طلحة، ٢٠٠٨: ١١٥-١١٦)،فتبرز وظيفتها الحجاجية في توجيه

الخطاب للقصد الذي يرومه المتكلم واستبعاد ما سواه،فيوظفها المخاطِب في كلامه ؛لما لها من طاقة حجاجية عالية في رفع قيمة الملفوظ الحجاجية من خلال حصره وتقييده بالنتيجة المراد إقناع المخاطَب بها .

ومن الفاعلية الحجاجية للعامل (إنّما)قوله في أحدى مقامات الورغي التي يشخص فيها مدينته تونس فيصورها بدمية حسناء مجرياً معها حواراً يستعلم به عن سرّ جمالها:((**إذا أنا بدُمْيَةٍ حَوْرَاء جَلَسَتْ مِن الأرْضِ غَوْراً فَتَأَمَلْتُها تَأَمُلَ إياسٍ ،فإذا هي مُغْنَاطِيسُ الأكْيَاس ،فقُلْتُ : أيَّتُها الحُرّة مَنْ استَخْبرَ المَلِيحة ما ضَرّهُ،أفتَأذَنِيْنَ بالسُؤالِ عمّا خَطَرَ بالبَالِ ؟،فقَالَتْ: أمَّا الحُرِيَةُ فلَيْسَ لي فيها نَسَبٌ....وأمَّا السُؤال فأمْرُهُ إليكَ فاسألْ عمَّا شِئْتَ ،فلا عليكَ ،فقلتُ: مَن ملكَ هذه الذات فإنّه لم يَغِضهُ من أمْرِ دُنْيَاهُ ما فات ،فَقَالَتْ: قَدْ مُلكْتُ مِرَاراً،ولاَقَيْتُ أحِلاءً وأمْراراً ،وإذا رَأيْتَ مِن حُسْنِي ما هَالَكَ ،فإنّما هو بحَسبِ المَالِك**)) (الورغي، د.ت: ١٩-٢٠).

دار هذا الحوار بين (سعد السعود)راوية المقامات ،والحسناء التي ترمز إلى مدينة تونس شخصه الكاتب بصورة مليحة حوراء تنطقُ بوصف حالها وحال مالِكها (حاكمها)،وفي الملفوظ :(إنّما هو بحسب المالك) استعمل المتكلم بنية القصر الموغلة في الحجاج باستعمال العامل الحجاجي (إنّما)،ليضمن قوة انجازية تجعل المخاطَب ينصرف إلى نتيجة بعينها غير قابلة لتكوثر التأويلات هي: (إنّ حسن البلاد وصلاح أحوالها مرجعه إلى حسن سياسة الحاكم في رعيته وعدله معهم)،وقوله هذا كان بمثابة حجة كاشفة عن قصد المتكلم في قصر صلاح البلاد وحسن أحوالها بصلاح حال حاكمها وحسن سياسته ،فالحصر الذي عقده المتكلم بوساطة (إنّما) حوَّل الحمولة الحجاجية إلى ما سيق بعده من حجة حاجباً ما قد يترشح من الملفوظ من دلالات أخرى،وإيقاف ما يترشح من معانٍ غير مرغوبٍ فيها ووضع المخاطب أمام نتيجة معينة تمثل قصده

وغرضه ،تقتضي تسليم المخاطَب بها وإقناعه بدعواه ؛لأنّه قيّد احتمالات الخطاب ووجّهه نحو الوجهة التي يتغياها.

ومن المقامات التي وُظف فيها هذا العامل لتحقيق البعد الحجاجي ما جاء في فضاء هذه الحادثة اللغوية وذلك في حديث الأب ناصحاً ابنه في تخير أصدقائه ومعرفة من يكن له الوداد،وذلك في واحدة من مقامات فكري باشا المسماة (مقامة في حسن الوفاء) قائلاً :((**إنّما الحُبُّ في الصِدُور لا في الثِغُور،وفي شِغاف الجِنان لا في أطراف اللسَان**)) (باشا، ١٨٩٧: ٣٠٤).

في هذا الملفوظ يلفت الأب نظر ابنه إلى أنّ المحبة الحقيقية الصادقة ليست بما ظهر في اللسان من الكلام بل بما أثبتته الأفعال،فحمل ملفوظه قصداً مضمراً هو توجيه الابن بضرورة تمحيص أصدقائه،وحثه على شدّ العرى على صحبة من صدق منهم بهذه المحبة بأفعاله لا بأقواله،وبإدخاله (إنّما) على ملفوظه فقد وجّهه إلى وجهة محددة يُعلم أنّ ما عداها بخلافها فقوله:(إنّما الحبُّ في الصدور) يُفهم منه ليس الحبّ في سواه،ويلغي التعددات الأخرى التي قد تكون مصاحبة للحبّ ،وحصر الأمر كلّه على ما ركزّ منه في القلوب بعكس لو جاء الملفوظ عارياً من (إنّما)،إذ لتعددت المفاهيم الناجمة عنه ،ولفقد بعده الحجاجي ودخل في زمرة الملافيظ الإبلاغية بحيث يصبح مجرد وصف (الشامي، ٢٠١٥: ٥٦)،غير أنّ وجوده في الكلام وجّهه بكليته إلى المقصود، وهو حصر الحبّ في القلوب لا غير وهذا ينسجم مع طبيعة الموصي ؛لأنّها وصية من أب حكيم قد خبر الحياة والناس.

ويأتي المتكلم بهذا العامل لإزالة شبهة قد علقت بذهن المخاطَب يتم رفعها بتقييد التأويلات المحتملة وحصرها واختزالها بنتيجة معينة يوجه المخاطَب عبرها الوجهة التي يريد ومثله قوله في أحدى مقامات الشيخ ناصيف اليازجي معترضاً على من يرى أنّ

التنافس والتفاخر يكون بالكثرة لا بالندرة فيقول:((**إنّ الفَخْرَ بالأثيرلا بالكَثِيرِ، وإنّما يُنافسُ في الثَّمِيْن لا في السَّمينِ**)) (اليازجي، د.ت: ١٢٣).

فقوله :(إنّما ينافس في الثمين لا في السّمين) بمثابة الحجة التي كشف من خلالها أنّ قيمة الأشياء بندرتها وغرابتها لا بكثرتها، فالتنافس يكون بما نفس وندر لا بما كثر وعُرف،مستعملاً لتعميق هذه الحجة (إنما)،الذي ورد هنا لرد قولٍ ضمني مفاده (التنافس بالكثير)؛لذا استعمله المتكلم استعمالاً حجاجياً للرد على خصمه بقلب رأيه، وجعل التنافس مقصوراً على الأشياء النادرة القليلة لا الكثيرة ،وما كان هذا القلب ليُعبّر عنه بغير (إنّما)؛ذلك أنّ من شأن هذا العامل بدخوله على الملفوظ أن يجعله ملفوظين ،الأول مثبت ظاهر على السطح ،والأخر منفي يقع ضمن بنيته العميقة (اليازجي، د.ت: ٥٦)،فقوله:إنّما ينافس في الثمين يحمل دلالةً ضمنيةً هي:ليس التنافس بما سوى ذلك ،وهو ما يجعل الكلام ذا طابعٍ حجاجي واضح بقلب رأي الآخر ونفي أطروحته ودحضها (اليازجي، د.ت: ٥٦) ، وجعله أمام نتيجة واحدة مباشرة هي :الفخر بما نَدُر وقلّ من الأشياء لا بما عُرف وشاع.

٢- (النفي والاستثناء):

يُعد هذا الأسلوب من أساليب التوكيد بالقصر (السامرائي، ٢٠١١: ٢١٤)، ويراد به حصر الشيء بصاحبه دون سواه (الجرجاني، ١٩٩٢: ٣٧)، وقد عدّه عزّ الدين الناجح من أرقى الملفوظات الحجاجية ؛لأنّه يشد من أزر الملفوظ ويحدد النتيجة المقصودة،إذ يضيق تعدد النتائج المستفادة من الخطاب ومن ثَمّ جعل المتلقي أمام نتيجة واحدة يروم التسليم بها (الناجح، ٢٠١١: ٦٤)،فهو لا يترك شكاً أمام المتلقي بأيّ توجيه آخر غير ما يقصده المتكلم،فتنحصر فعالية الحجاج في وجهة حجاجية واحدة مقلصاً الإمكانات الحجاجية للكلام،مما يزيد من القوة الحجاجية وتوجيه المتلقي

نحو استلزام واحد دون سواه،وهذا يمنع تشتت المعنى.،وبذلك فهذا العامل أشبه بوأد لكلّ القصود التي لا يريدها المتكلم أن تنفذ لعقل السامع متيحاً له المجال للوصول إلى النتيجة التي يتغياها الخطاب وإقناعه بها (الناجح، ٢٠١١: ٦٤) ؛لأنّه يُثبت شيئاً قد أُنكر أو شُكّ فيه (السامرائي، ٢٠١١: ٢١٦) ،فترقى قيمته الإقناعية مقارنةً بغيره من أدوات الحصر ؛لأنّه بمثابة إضافة جديدة لقناعات المتلقي التي كان يشوبها عدم التثبت.

ومن تمثلات توظيف هذا العامل لتحقيق البعد الحجاجي،قول المتكلم،ناصحاً مخاطبيه بعدما اشتد بينهما النزاع والتفاخر ،وذلك في مقامة أحمد البربير التي أنشأها في المفاخرة بين الماء والهواء ،وبيان فضل أحدهما على الآخر، قائلاً: ((**إنّ الدَهْرَ يَجْمَع بينكُما في الانْتِسَابِ إليه والانْتِماءِ ،فَلْيَشُدَّ كلٌّ منكما عَضُدَه بأخِيه ،ولْيَحْذَر مِن تَفْريطه في حقوقه وتراخِيه ،وعَلَيْكُما باطِّراحِ رِدَاءِ الافْتِخَار ،فإنّ العَبْد لا يَسودُ إلاّ بالافتِقَار،بَارَكَ الله فِيكُما ،وبَلَغكما المَرَام ،ما سَطَعَتْ شَمسُ الأَكْوان ولَاحَ بَدرُ التَّمام**)) (الطيان، ٢٠٠٠: ١٤٦) .

ساق المتكلم هذا الملفوظ ؛لأجل الحثِّ على طرح التفاخر ونبذ المباهاة ،فيقيم حجته بكون رفعة الشأن والذكر لا تكون إلاّ بالعبودية المطلقة لله ،فكلما تواضع العبد لله رفع شأنه وأسبغ عليه هيبةً،فجاء بهذا الحكم بإحدى طرق القصر (النفي والاستثناء) ؛ليحاصر المتلقي ،ويقيد التأويلات الممكنة التي قد تخامره، فلو قال :يسودُ العبدُ بالافتقار لله ،لم يؤد المعنى المطلوب؛لأنّه ملفوظٌ قائم على الإثبات المحض الذي لا يتجاوز طاقته الاخبارية الابلاغية مداها الإعلامي التوصيلي الصرف،الذي يحتمل أن تكون السيادة بالافتقار إلى الله وبأشياءٍ أخرى (السامرائي، ٢٠١١: ٢١٤) (الناجح، ٢٠١١: ٦٤)،لكن بدخول عامل الحصر المتمثل بالنفي والاستثناء فإنّ ملفوظه صار أرقى حجاجياً؛إذ جعل المتلقي ينصرف إلى نتيجة بعينها غير قابلة للتأويلات مما يضعه أمام استلزام واحد ويجعله في اتجاه من الاتجاهات (الناجح، ٢٠١١: ٣٢)

يقتضي التسليم به وهو:السيادة ورفعة الشأن لا تكون إلاّ بالتواضع والافتقار لله، وترك المجال للمتلقي في قبول النتيجة أو عدم تقبلها وهذه هي مزية الحجاج، إذ يعطي للمتلقي حق اختيار قبول النتيجة أو رفضها

وفي سياقٍ آخر يرسم هذا العامل مساراً تأويلياً محدداً باختزال التأويلات وتقليصها،كما في قول المتكلم في واحدة من مقامات الخفاجي التي يصور فيها ترحاله عن بلده ،ومبرراً لتغربه عنه بعد سؤاله عن الداعي لذلك قائلاً: **((لم يقل الله إنّ ارضي واسعةٌ إلاّ لنَسيرَ في مَناكِبها إلى حَرَم الدِّين والدِّعة))** (الحلو، د.ت: ٣٥٧).

يبرر المتكلم لتغربه عن بلده ،إذ الحاجة أضحت أكيدة لذلك ؛لأنّ البلاد قد عمّها ضيق العيش وقد خلت من الكرام والأعيان الذيّن يُلتجأ لهم عند الشّدة ؛مما دعاه إلى شد رحاله عنها باحثاً عن الكرماء النبلاء ليجاورهم متوسماً بعطائهم وكرمهم،بعدما أدرك أنّ الأرض أوسع من أن تضيق على مثله وأوسع أن تُحدَّ بأرض بلده ،موظفاً لذلك العامل الحجاجي (النفي والاستثناء) الذي وجَّه الخطاب نحو نتيجة محددة ضيقة وواحدة في الحالات جميعها (الناجح، ٢٠١١: ٢٤٩)،فلو قال:(قال الله:أنّ ارضي واسعة لنسير إلى ارض الدين والدعة)،لكان الخطاب هنا مجرد إخبار لا غائية من ورائه سوى الإعلام ،لكنّ ما أن أقحم العامل الحجاجي حتى أُخرج الخطاب من الإبلاغية إلى الحجاجية ،فصار للملفوظ قيمة حجاجية بترجيح المتكلم أسلوباً هو في ذاته عدول من إمكانية لغوية إلى أخرى يتوقع أنّها أكثر نجاعة في هذا المقام؛بسبب حصر الإمكانات الحجاجية الذي عقده المرسِل بإدخاله هذا العامل على ملفوظه وتخصيصه بنتيجة واحدة هي:(الأرض بسعتها تسمح للكريم متى ناله الأذى والقلى أن يهجرها إلى أرضٍ جديدة لا يناله فيها ذلٌّ ولا ضيم)لا غير.

المحور الثاني: النفي

يتقاسم النفي مع الإثبات شَطّر الإنجاز الكلامي؛ لأنّ الكلام إمّا إثبات أو نفي (الزركشي، ١٩٥٧: ٣٧٥)، ويُعرف النفي بأنّه إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه، ويؤدى بصيغة تحتوي على مؤشرات متمحضة للنفي من قبيل: (لا، ولم، ولن، وليس..) وغيرها من العناصر الموضوعة للنفي(المبخوت، ١٩٨٧: ١٥٤)، يتوسلها المتكلم كيما يحقق غاياته الحجاجية في التأثير بالمخاطَب واستمالته وإقناعه بدعواه (الناجح، ٢٠١١: ٤٧)؛ لِما تحمله من طاقة حجاجية عالية يكمن فيها مؤشر قوة القول(المبخوت، ٢٠٠٩: ١٢)، فهو إبطال لحكم وإثبات لأخر يناقضه ويخالفه ،وهذا يجعل النفي حاملاً لمحتوى حجاجي في الخطاب، إذ يؤتى به ((للتعبير عن تعارض الاعتقادات ووجهات نظر المتخاطبين)) (المبخوت، ٢٠٠٩: ١٢) ،فالمتكلم النافي حين يعمد إلى نفي قضية ما فهو إذن يعبر عن اعتقاده تجاه تلك القضية ويريد من المخاطَب أن يدرك أنّه لا يعتقد بمضمون الكلام فيتخذ من النفي وسيلة لإبطال الرأي المضاد وتفنيده، وقلب ما يعتقده الطرف الآخر والوقوف بوجه إدعائه (عادل، ٢٠١٣: ٢٢٣)، وهو يرمي من وراء ذلك إلى تخلي المخاطَب عن اعتقاده في مضمون الكلام وتوجيهه نحو نتيجة واحدة تضيق وتنحصر فيما تسلط عليه النفي لا غير (مظلوم، ٢٠١٧، ١٩٦)؛ لأنّه بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة (ن) بسرعة فلا يجد المتلقي حرجاً أو كداً ذهنياً في إدراكها، ناهيك عمّا للنفي من قيمة مضافة تتمثل بوصف البنية الدلالية العميقة للملفوظ الذي يبدو غير منفي الناجح، ٢٠١١: ٥٠-٥١) .

ومن الأمثلة على عاملية النفي الحجاجية ما جاء في مقامة الشيخ محمد المبارك التي يصور فيها مناظرة تمت بين الغريب والمقيم في الأوطان ،فيقول على لسان المقيم مفاخراً الغريب:((**وليس في خِرُوجِ سَيّد الوجُودِ عَنْ مَحَلِ مَنْشَئِهِ ووَطَنِهِ المَعْهُودِ دَلِيْلٌ**

مُشْعِرٌ بفَضْلِ الغُرْبَةِ على الإقَامَةِ بِحَالٍ، فإنّه مِن جُمْلَةِ الأذى الذي رَمَاه به أهلُ الكُفْرِ والضَلال)) (الطيان، ٢٠٠٠: ١٥٦).

دمج المتكلم عامل النفي في ملفوظه:(ليس في خروج سيّد الوجود...)،الذي اعترض به على دعوى سابقة للخصم ،فالاعتراض هنا اعتراض ارتجاعي ؛لأنّه كان رداً على حجة سابقة للطرف الآخر يفاخره فيها ويدعي الفضلّ عليه ويقيس فضل الغربة على الإقامة بهجرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قولٍ سابق هو:((وكفاني شاهداً هجرةُ من نزلتْ عليه السكينة ،من مكة المشرفة إلى المدينة)) (الطيان، ٢٠٠٠: ١٥٤)، وهذا يخدم نتيجة (أفضلية الغربة عن الأوطان على الإقامة فيها)،فحمل ذلك المتكلم الذي هو في صدد مواجهة اقناعية على نفي دعوته ، ومنازعة حجته وكشف خطأ اعتقاده وقياسه من خلال آلية النفي التي نهضت إلى جانب الارتجاع بوظيفة أخرى هي التشكيك بدعوى الخصم وتبديد حججه وتفتيت أسس رأيه المضاد ونزع المصداقية عنه. (عادل، ٢٠١٣: ٢٢٣-٢٢٤)

ومن التمثلات التي وُظف فيها النفي بصورته الحجاجية ،ما جاء في مقام الوعظ وذلك في أحدى مقامات اليازجي التي يخطب فيها المتكلم القوم واعظاً إياهم، فيقول: **((توبوا إلى بارِئكم واندَمُوا على ما فاتَ ،فإنّ الله يَقبلُ التوبة عن عِبادِه ،ويعفو عن السَّيِّئات ،واعتمدُوا حِفظَ الفُروض والسُّنن ،ولا تَلْوُوا على خضراء الدِّمَن،فإنّ المُحَافَظة على الصَّلوات لا تَفِيدُ مَنْ يَتَبِعَ الشَّهوات .....فليس البِرّ أن تُولوا وجوهَكم شَطْرَ المَسجِد الحَرام ،ولكنَّ البِرَّ من اتَّقى والسلام))**. (اليازجي، د.ت: ١٤٩)

يظهر تجلي النفي واضحاً في قلب ما يعتقده المتلقي وإبطاله ، فقوله :(ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم شَطْر المسجد الحرام) يمثل رداً على اعتقاد أن تكون الأعمال بظواهرها ،فينفي ذلك نفياً قائماً على التصحيح ؛ولأنّ غايته موافقة المخاطَب له في مخالفة الكلام المثبت المقول حقاً أو المفترض قوله آستأنف بكلام استدراكي وجه المخاطَب نحوه

يمثله قوله : (لكنّ البرَّ من أتقى)،إذ لم يكتفِ بالنفي فقط بل اتَبَعهُ بتعويض ذلك بطرح البديل ،وإمداد المخاطَب بمعلومة أخرى من خلال جملة الاستدراك بـ (لكن) التي بدتْ أقوى حجاجياً من الحجة السابقة ،ونقلتْ الحجاج من درجة دُنيا إلى درجة أعلى وجهتْ المتلقي نحو الإقرار والتسليم بها ، ومن خلال هذا التعويض حقق النفي عملية الاستبدال بتجاوز ما أُنكر لإقرار ما يجب أن يتبنى ،ومن ثمّ تحويل الاتجاه الحجاجي لصالح أطروحة النافي ،ودفع المخاطَب لمشاركته اعتقاداته (عادل، ٢٠١٣: ٢٢٦).

وقد يبرز النفي كإثبات لمحتوى سالب دون إحالة على إثبات مناقض له ،وهو ما يسمى بالنفي الوصفي الذي يكون تمثيلاً لحالة الأشياء في الكون من دون أن يقدمه المتكلم على أنّه يعارض خطاباً آخر (المبخوت، ٢٠٠٦: ٢٤٤)، ومن ذلك ما جاء أيضاً في مقامة أحمد البربير قائلاً على لسان الماء مفاخراً الهواء بأفضليته عليه :((أنا لا أُحبُّ المعالي ،وأنا سِلمٌ للمحلِّ المنخفض وحَربٌ للمحلِّ العالي ،لا أتجاوز حدَّ العبيد ،ولا أنازعُ سيدي فيما أختص فيه من الصفات التي لا تفنى ولا تبيد)) (الطيان، ٢٠٠٠: ٣٦).

يبرز النفي هنا كعامل حجاجي في قول المتكلم : (لا أحبّ المعالي ...لا أتجاوز حدّ العبيد ...لا أنازع سيدي فيما أختص فيه)كمقابل لإثبات سابق مفترض ،وليس غرض المتكلم دحض هذا الإثبات إنّما غرضه التنبيه على حصوله لغيره في مقابل نفيه عنه،ذلك أنّ اعتماد النفي أسلوباً داخل الخطاب الذي يُنتظر منه حصول الإقتناع إنّما يُقصد به حجاجياً إثبات الصفات المنفية في سواه (الحسني، ٢٠٠٩: ٢٨) . فتكمن حجاجية النفي هنا في المقابلة بين حال المتكلم وحال غيره وتنبيه المخاطَب إلى فضائله ومن ثم دفعه إلى الاقتناع بأفضليته وتمايزه عن غيره في التواضع والطاعة ،مما يجعله –النفي– تجلياً واضحاً لتعدد الأصوات في الخطاب (فضل، ١٩٩٢: ٩٤)،صوت يتبنى جانب الإثبات ،وصوت المتكلم المتبني للنفي ،فكل قول له الصورة

(لا- ق) يمثل عملين قولين أحدهما إثبات صادر عن متكلم أول ،والثاني ردّ ودحض لهذا الإثبات صادر عن متكلمٍ ثانٍ (الشامي، ٢٠١٥: ٤٢٧-٤٢٨)، ووفقاً لذلك فإنّ الخطاب السابق يتضمن مقولات عكسية فهو يريد القول:(لا أحب المعالي = أنا متواضع، لا أتجاوز حدّ العبيد = ألتزم حدود العبيد، لا أنازع سيدي = أطيعه)، مؤسساً حركية حجاجه على الأداة (لا) التي تدل على معنى الشمول والعموم (مصطفى، ١٩٥٩: ١٣٩). ليعمق من مضمون أقواله المنفية ويوسعها فضلاً على أنّ (لا) أفضت إلى استمرار دلالة نفي أقواله ودوامها وعدم تقييدها بزمن معين فإنّ من دلالتها أنّها توضع لنفي ما بعد الآن المستقبل. (المبخوت، ٢٠٠٦: ١٢٤)

تكشف لنا مقاربة العوامل الحجاجية في أنّها لا تربط بين حجتين أو حجة ونتيجة كما الحال في الروابط الحجاجية بل تبدو فاعليتها الحجاجية داخل القول الواحد بتحديده وجعله يصب في نتيجة واحدة واضحة ومحددة عن طريق تقييد الملفوظ ،فهي موجهات لغوية تسبغ الملفوظ الحجاجي بقوة توجيهية نحو نتيجة بعينها مما يعمل على تضييق فرص الدفاع ومن ثم توسيع أفق الإقناع .

النتائــج:

١-تكشف معالجة العوامل الحجاجية في المقامات العثمانية عن قدرتها الحجاجية في الاستعمال التداولي فهي عناصر لسانية تكتسب قيمتها الحجاجية من سعيها لتمثيل قصد المتكلم وتوجيه المخاطَب نحو ما يبتغيه.

٢-تظهر الوظيفة الحجاجية لعاملية عنصر الحصر والتقييد (إنّما)في أثره في توجيه الملفوظ وجهة حجاجية واحدة من دون سواها، فقد رأى البحث كيف أنّ المتكلم باستعماله هذا العامل قام بتقييد حيز الإمكانات الحجاجية في خدمة نتيجة واحدة.

٣-عُدت القوة الحجاجية لعامل (النفي والاستثناء) أقوى مقارنةً بغيره من عوامل الحصر؛ لأنّها تُثبت قناعة لمتلقٍ شاك ومنكر فكأنّما الاتيان بإضافة جديدة لذهنه وتثبيتها.

٤-اتسم النفي في الحجاج بكونه يدل على تعدد الأصوات ،إذ يشير إلى إثبات ضمني بافتراض مخاطَب متخيل أو حقيقي يتبنى جانب الإثبات في حين يتبنى المتكلم جانب النفي في عملية حجاجية قائمة على آليتي الإدعاء والاعتراض يهدف من خلالها إلى توجيه المتلقي الوجهة التي يقصدها وحمله على التسليم بما يعتقد.

٥-اكتسب النفي في المقامات طابعاً حجاجياً كونه عمل على تحويل المعنى المثبت في ذهن المتلقي إلى ضده .

المصادر والمراجع:

١. الآثار الفكرية ،تشتمل على ما تيسر العثور عليه من نظم ونثر المرحوم عبد الله فكري باشا، جمعها نجله :أمين فكري باشا ،المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ،مصر،ط١،١٣٦٥هـ،١٨٩٧م.

٢. إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية / د.شكري المبخوت، مركز النشر الجامعي ،٢٠٠٦.

٣. البحث النحوي عند الأصوليين/مصطفى جمال الدين ،منشورات دار الهجرة ،إيران – قم، ط٥، ٢٠١٤.

٤. البرهان في علوم القرآن/بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،بيروت-لبنان،١٣٧٦هـ،١٩٥٧م.

٥. بلاغة الإقناع في المناظرة/عبد اللطيف عادل ،منشورات ضفاف،بيروت-لبنان،ط١،١٤٣٤هـ،٢٠١٣م.
٦. بلاغة الخطاب وعلم النص/د.صلاح فضل ،عالم المعرفة ،أغسطس١٩٩٢.
٧. التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه/تنسيق:حمو النقاري ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء،ط١،١٤٢٧هـ.
٨. التداوليات وتحليل الخطاب/د.جميل حمداوي ،شبكة الألوكة.
٩. توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط /د.شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط١،٢٠٠٩م.
١٠. الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ،أعداد وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي ،عالم الكتب الحديث ،أربد –الأردن ،ط١،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١١. الخطاب اللساني العربي ،هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد /بنعيسى أزابيط ،عالم الكتب الحديث ،إربد-الأردن ،٢٠١٣.
١٢. دراسات في الحجاج ،قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم/د.سامية الدريدي الحسني ،عالم الكتب الحديث ،أربد،ط١،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٣. دلائل الإعجاز/عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)،تحقيق:محمودمحمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة،دار المدني بجدة ،ط٣،١٤١٣هـ،،١٩٩٢م.
١٤. ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا/شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي(ت١٠٦٩هـ)،تحقيق:عبد الفتاح محمد الحلو،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،(د.ت)،(د.ط).
١٥. العوامل الحجاجية في اللغة العربية /عزّ الدين الناجح ،مكتبة علاء الدين ،صفاقس ،ط١،٢٠١١م.

١٦. في التحليل اللغوي،منهج وصفي تحليلي /خليل أحمد عمايرة،مكتبة المنار، ط١ ،١٩٨٧م.

١٧. اللغة والحجاج/أبو بكر العزاوي،العمدة في الطبع ،ط١ ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

١٨. مجمع البحرين/الشيخ ناصيف اليازجي،دار صادر ،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

١٩. المظاهر اللغوية للحجاج ،مدخل إلى الحجاجيات اللسانية /رشيد الراضي ،الدار البيضاء ،المغرب،ط١،٢٠١٤م.

٢٠. معاني النحو/د.فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي ،ط١ ،١٤٣٨هـ،،٢٠٠٧م.

٢١. المفاخرات والمناظرات،عني بها :الدكتور محمد حسّان الطّيان،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت –لبنان ،ط١،١٤٢١١هـ،٢٠٠٠م.

٢٢. مقامات الورغي ورسائله /محمد بن أحمد الورغي،تحقيق:عبد العزيز الفيزاني ،الدار التونسية للنشر،(د.ط)،(د.ت).

<u>الرسائل والبحوث الجامعية</u>

١. الحجاج في النص النثري في كتاب التذكرة الحمدونية "أطروحة دكتوراه"/سهام مظلوم عباس ،كلية التربية ،الجامعة المستنصرية ،١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

٢. العوامل الحجاجية في شعر البرذوني(النفي إنموذجاً)"بحث"/ألطاف إسماعيل أحمد الشامي،مجلة كلية العلوم الإسلامية ،العدد١٦،٤٣ ذي الحجة ١٤٣٦هـ،٥أيلول ٢٠١٥م.

٣. القيمة الحجاجية لأسلوب القصر"بحث"/ محمود طلحة ،مجلة الخطاب ،جامعة مولود معمري ،تيزي وزو،الجزائر ،دار الأمل ،العدد ٣، ٢٠٠٨م.